

النازحون من العراق

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

اتفق لي أن نزحت لظروف خاصة من كربلاء المقدسة - العراق - في شهر شعبان عام ١٣٩١ هـ، مروراً بدمشق وببيروت إلى الكويت، ولنفس الظروف نزح عشرات الألوف من العراق، قبل نزوحي وبعده.

وقد تواترت عليّ الرسائل بهذه المناسبة من مختلف البلاد، كلبنان، وسوريا، والهند، وباكستان، والسعودية، وأفغانستان، والبحرين، وتركيا، وإيران، ودول إفريقية عديدة، وغيرها.. إلا أن أكثر الكتب كانت من إيران، لأن القسم الأكبر من النازحين توجهوا إلى إيران، ولا أكون مبالغاً إن قلت: إن أكثر من ألف رسالة وردتني من إيران وحدها من النازحين وغيرهم في البرهة التي تلت نزوحهم.

وقد فكرت طويلاً متسائلاً: ماذا أستطيع أن أقدمه إلى هذه الجماهير العزيزة عليّ من خدمة؟

وأخيراً لم أر أمامي إلا إسعافهم بالعون الأدبي، وذلك: بتأليف هذا الكتاب ليكون لهم سلوة، ولعله ينير بعض الدرب.

والكتاب عصارة الحصائل الفكرية التي اكتسبتها من معلومات عن تلك الرسائل التي وردت عليّ شارحة مشاكل أصحابها، أو مشيرة إليّ أن أعمل شيئاً في سبيل التخفيف من حدة الوطأة، ومن نتائج مشاورات مع بعض الأصدقاء حول الموضوع، وقد استخرت الله الكريم، وتفألّت بالقرآن الحكيم، فإذا الآية تشير بالإيجاب وألقي في روعي (أن أفعل) - كما وردت في أحاديث الاستخارة -.

والله سبحانه أسأل أن ينفع بالكتاب، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك، وهو المستعان.

الكويت

محمد

الثقة بالله

ثري، نكبة الدهر، فصدورت أمواله، وقتل أولاده، وألقي به في غياهب السجن، وعذب أمر العذاب، وبعد مدة طويلة زاره أحد أقربائه في السجن، فرآه في كمال البشر والاطمئنان وكأنه يقضي أحسن أيام العمر! فدهش الزائر لما رأى، وسأله: كيف أرى فيك هذه الحالة الحسنة وأنت تعيش أمر ساعات الحياة؟ فتبسم السجين ملء شذقيه وقال: إن هذا البشر والاطمئنان نتيجة الثقة بالله، إنه لا يخلو الأمر أن يكون ما ورد عليّ بدون استحقاق، فذلك: مما يوجب لي حسن الثواب وجميل الذكر، أو باستحقاق على أثر ذنب اقترفته، ومعصية ارتكبتها، فما ألقى من الألم والحرمان يطهرني من ذنبي، فأنا بين طهارة عاجلة أو خيرات آجلة، وهل يوجد - بعد ذلك - مبرر للتقطيب والانتقاص؟

إن النازحين يجب أن يزدادوا ثقة بالله، ورجاءً لفضله وثوابه، وإيماناً به، فتقلب الأحوال يدل على وجود المقلب المدبر، والشدائد توجب التطهير من الذنوب، وجميل الذكر في المستقبل، ورفعة الدرجات في الآخرة، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة سيدة نساء العالمين: (تعجلي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة) (١).

التوكل على الله

أمر أحد الملوك بإعدام برنينين، وكان الملك ديكتاتوراً لا يناقش ولا يفهم المنطق، حتى كانت ليلة الإعدام، فكان أحدهما في غاية الاضطراب، والآخر في غاية الهدوء! قال الأول للثاني: ما لي أراك هكذا؟ ألسنا نعدم بعد ساعات؟ قال الثاني: إني واثق بأننا لا نعدم.

قال الأول: وكيف؟!

قال الثاني: ألسنت تقرأ في القرآن الحكيم: ((مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)) (٢)؟

فقال الأول: وأنا أيضاً أتوكل على الله.

ثم أخذ الاثنان في البكاء والتضرع إلى الصباح، ولما حان الصباح جاء السجان وقال لهما: قد أطلق سراحكما، لأنه ثبت عند الملك أنكما برينان، وأن المجرم غيركما، وقد نفذ في المجرم حكم الإعدام مع طلوع الصباح.

فانطلقا من السجن وهما يشكران الله تعالى، ويقول أحدهما لصاحبه: (إن من توكل على الله كفاه الأمور، ومن لاذ به وقاه الشرور).

إن النازحين يجب أن يتوكلوا على الله سبحانه، فإنه قادر على أن يردّهم إلى ديارهم سالمين، أو يهيئ لهم في منازلهم من أمرهم رشداً، والمتوكل لا يُعدم الاطمئنان أبداً، فإن من علم أن من ورائه قوة خفية تحرسه

١- بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢٢٠، ب ٢٣، ح ٩، وفيه (تجرعي مرارة...).

٢- سورة الطلاق، الآية ٣.

وتحميه، وأنَّ تلك القوة ستُصلح أمره، لا بد وأن يطمئن.

قال تعالى: ((وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ)) (١)، وقال سبحانه: ((أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)) (٢).

نعم؛ التوكل وحده لا يكفي، بل يجب العمل أيضاً حسب الموازين الطبيعية، ففي الحديث: (اعقل وتوكل) (٣).

الصبر

سجن الملك (أنو شيروان) وزيره (بذرمهر) من غير ذنب، ولما سئل الملك عن ذلك قال: إن بذرمهر ينظر إلي نظرة رئيس الوزراء إلى ابن الملك، إذ كان وزيراً لأبي، فأردت أن أدخل رعي في قلبه (كان ذلك قبل أن يتصف بالعدل).

وبعد أيام أرسل الملك رسولاً إلى السجن ليرى كيف حال الوزير، ولما جاءه الزائر رآه في كمال الهدوء والاطمئنان والبشر، فتعجب من حاله، وقال:

أيها الوزير الحكيم! ما لي أراك لم تتغير، ولم تتأثر، وقد كنت رئيس البلاد ثم صرت في هذا السجن المظلم؟ قال الوزير: إن معي حباً أستعمله كل صباح ومساءً، ولذا بقيت على نشاطي واطمئناني.

قال الزائر: وما هو ذلك الحب؟

قال بذرمهر: إنه مركب من أشياء:

الأول: الصبر

والثاني: أني أعلم أن كل حال يزول

والثالث: التوكل على الله!

إن النازحين يجب أن يصبروا على ما يلاقونه من الشدائد والمشاكل، فإن الصابر يبقى هادئ البال مطمئن القلب، بالإضافة إلى أنه يتمكن أن ينجز ما ينبغي لحل مشاكله، أما الجازع: فقد أتلّف نفسه، وأبقى مشكلته، ثم لم ينفعه الجزع شيئاً، والله سبحانه يعطي الصابر الأجر والثواب.

ففي القرآن الحكيم: ((إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (٤).

وقال تعالى: ((وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) (٥).

وفي الحديث: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد) (٦).

١- سورة التغابن، الآية ١١.

٢- سورة الرعد، الآية ٢٨.

٣- بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٣٧، ب ١٣، ح ٢٠.

٤- سورة الزمر، الآية ١٠.

٥- سورة العصر، الآية ٣.

٦- الكافي، ج ٢، ص ٨٩، ح ٥.

الحزم

ملكان كانت بينهما أشد المنافسة على الملك، وكانت بينهما حروب ومهاترات، ومن غريب الأمر، إن الملك الذي كان يبدو أقل قدرة وعدّة وعدّة، كان ينتصر في الحروب دائماً، فتعجب الملك الأقوى من هذه الظاهرة، وأرسل جاسوساً ليدخل بلاط الملك الأضعف، ويستخبر السبب، وبعد مدة مديدة وحيل عديدة، تمكن الجاسوس من كسب ثقة بعض حاشية الملك، ولما استخبر عن السبب لظفر الملك قيل له: إن السبب هو حزم الملك، إنه يحسب حساباً دقيقاً لعدده وعدته وقوته وسلاحه، ويصرف أعزّ أوقاته في الفكر والسعي والاستعداد، ويرتب الأمور أدق ترتيب، ولذا تأتي النتائج حسب رغبته، بينما الملك الأقوى مستهتر ومغرور وهذا هو سبب انهزامه. إن النازحين يجب عليهم (الحزم)، فقد قال الشاعر:

وأحزم الناس من لم يرتكب عملاً***حتى يفكر ما تجني عواقبه

وفي القرآن الحكيم ((وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ؟)) (١)، ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ؟)) (٢)، ((كُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا كَسَبَ رَهِيْنٌ؟)) (٣)، ((وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى)) (٤).

فاللزام: أن يجمعوا قواهم، ويرتبوا طاقاتهم، حتى يتمكنوا من العيش السعيد في الوطن الجديد، وإلا كابدوا المشاكل، وذهبت أعمارهم عليهم حشرات.

حسن الخلق

أختان كانتا زوجتين لأخوين، أحدهما يبيع الخل والآخر يبيع العسل، لكن بائع الخل كان أرفه حالاً وأكثر مالاً، بالعكس من بائع العسل الذي كان في ضيق وضنك وشدة وتأخر، وذات يوم حاولت زوجة بائع العسل أن تعرف السبب، فجاءت إلى دكان زوجها، وإذا بها ترى زوجها يعامل الناس معاملة سيئة، مما يسبب انزعاج الناس فينصرفون عنه إلى غيره، ثم جاءت إلى دكان الخل فرأت أن الدكان مزدحم بالزبائن، وإن البائع يحسن معاملة الناس، فيعطي بالنسيئة، ويضع البضاعة في متناول يد المشتري ليختبرها بنفسه، ويزيد في الميزان، ويسامح في البيع والشراء، فرجعت المرأة وقالت لزوجها: إنك تبيع العسل الحلو حامضاً، وإن أخاك يبيع الخل الحامض حلواً، ولذلك أنت متأخر وهو متقدم.

إن النازحين يجب عليهم أن يُحَسِّنُوا أخلاقهم مع عوائلهم وأصدقائهم، ومع أهل البلد الذي يعيشون فيه، فقد فاز حسن الخلق بخير الدنيا وثواب الآخرة، وفي القرآن الحكيم: ((وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (٥)، وليس للإنسان

١- سورة الأنعام، الآية ٥٠.

٢- سورة محمد، الآية ٢٤.

٣- سورة الطور، الآية ٢١.

٤- سورة النجم، الآية ٤٠.

٥- سورة القلم، الآية ٤.

أن يُسيء خلقه مع أهله، وهم يعيشون معه المشكلة، أفهل هم سبب مشاكله؟ ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))^(١)، فلم يسيء خلقه مع الناس؟ وهل إنه إذا أساء أخلاقه معهم يكون أقرب إلى سعادته؟ بل العكس هو الصحيح: إنه إذا أساء أخلاقه تجنبوه فيزيدوه مشكلة على مشكلة.

تحمل المكاره

وضع القدر إنساناً في ملتقى المشاكل والمكاره؛ فقد كان خادماً لإنسان سيء الخلق، كثير التوقع، قليل الصبر، فكان يأمره بالقيام بكل الأعمال المنزلية، ويكلفه بأعمال إضافية خارج نطاق البيت، ومع ذلك كله: لا يطعمه إلا القليل، ولا يلبسه إلا البالي، ويهينه كل يوم مرات، لكن الخادم يتلقى كل ذلك بصدر رحب، فلا يقطب وجهه، ولا يضيق بذلك ذرعاً، فتعجب بعض معارفه، ولما سألوه عن السبب قال: لأنني وطنت نفسي على التحمل فيسهل الأمر عليّ، وإنني أعلم أن للشدة فرجاً، وللصبر عاقبة، فاتفق أن أفلس مولاه واثري الخادم حتى صار مولاه خادماً عنده، ورأى الخادم نتيجة صبره واحتماله.

إن النازحين يجب عليهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المكاره، فإن توطين النفس يوجب خفة العضلة، وهو من المسلّمات في علم النفس، قال الشاعر:

للمتقين من الدنيا عواقبها*** وإن تعجل فيها الظالم الآثم

وفي القرآن الحكيم: ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ))^(٢).

يقول الشاعر:

تحمل صروف الدهر فالدهر منقض*** ومن يتحمل صرفه كان أسعدا

نعم، يجب أن يكون تحمل المكاره بروح إيجابية لا بروح سلبية، فإن الدنيا للعاملين، وقد قال القرآن الحكيم: ((لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ))^(٣).

العمل

نكب الدهر بأحد الأثرياء، وأفلس حتى باع جميع ما يملك، ولم يكن يملك حتى لقمة العيش، فسافر إلى بلد آخر لا يعرفه أهله، وأخذ هناك يعمل حملاً في مخزن، ولما جمع بضعة دراهم اشترى القلنسوات الصوفية، وكل يوم إذا بزغت الشمس كان يعرضها على أبواب الحمامات، فإذا ارتفع النهار ابتداءً من أول شارع في المدينة فيدق أجراس الدور باباً باباً، ويعرض لأصحاب الدور بضاعته، واستمرّ هكذا يعمل كل يوم إلى غروب الشمس، فلم تمض سنوات حتى رجعت ثروته، وتحسنت حالته، ورجع إلى وطنه كأعز ما يكون.

إن النازحين يجب عليهم أن يعملوا ليستعيدوا ما فقدوه، وأفضل مما فقدوه، فإن العمل عزّ وشرف مهما كان

١- سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

٢- سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٣- سورة النساء، الآية ١٢٣.

العمل متواضعاً، أليس قد ورد أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ينزح الماء ليهودي - كما في كتاب بحار الأنوار - لقاء تمرات؟ وأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يسافر ضرباً في الأرض لأجل التجارة لقاء أجرة؟

إنهم بكل صورة يجب عليهم أن يعملوا ويجدّوا ويجتهدوا، بل إذا قدرت نساؤهم على الخياطة أو ما أشبهه، وأولادهم على البيع للأشياء الخفيفة في بسطة كالشخاط^(١) وما أشبهه، اشتغلوا، حتى يخففوا على أنفسهم ويلات الحياة، وصعوبات المعيشة، قال الشاعر:

ومن يعمل يفز فيما اشتهاه***ومن يكسل فأخره الندامة

ترك ما لا يعني

كان أحد التجار فضولياً يدخل في كل أمر مما يعنيه ومما لا يعنيه، ويسأل عن كل شيء، سواء كان له علاقة به أو لا، فنهاه أصدقاؤه، لكن النهي لم يزدّه إلا عناداً، وذات مرة اتفق أن كان يمر هو وبعض أصدقائه في منتصف الليل، من شارع وإذا بهم يسمعون جلبة وضوضاء في شارع فرعي، فقال التاجر الفضولي: دعنا نذهب إلى مصدر هذه الأصوات لنرى ماذا حدث؟ فنهاه صديقه لكن النهي لم يزدّه إلا إصراراً، فتركه الصديق ووقف مكانه، والفضولي ذهب إلى ذلك المكان، ولما طال انتظار الصديق دون أن يرجع التاجر جعل يبحث عنه، فقالوا له: لقد نقل إلى المستشفى، ولما سأل عن السبب قالوا: كان هناك صدام بين جارين، فجاء التاجر وأدخل نفسه بينهما، فجاءته ضربة في مقتل فسقط مغشياً عليه، ولم تذهب أيام إلا والتاجر من أصحاب القبور!

إن النازحين يجب أن يقدّروا موقفهم، وأنهم في بلد جديد على أسلوب حياتهم، وكل مكان يوجد الصالح والطالح والخير والشرير، فليحفظوا ألسنتهم، وليحصرُوا أعمالهم فيما يعنيههم، فإن اللسان ربما أودى برأس الإنسان، والتدخل في كل أمر حاضر ربما أدخل الناس في أصحاب المقابر ولذلك: ورد عن المعصومين (عليهم السلام) في جملة الفضائل: (ترك ما لا يعني)^(٢)، وتكفي النازحين شغلاً، مهامهم الشخصية وحوائجهم الفردية والاجتماعية، قال الشاعر:

إن السفية هو الذي إن عثّه أمر ركض***والعافل النحرير عند حدود مرماه ربض

الإله

كان إنسان قد بطرته المعيشة فنسي الله سبحانه، ثم أصابته بلية ذهب بماله وأهله وصحته، فحاول أن يقترب من الله سبحانه، وأخذ يذكر الله تعالى في كل حال، وطهرته النكبة وصفا قلبه، وإذا به تعود صحته،

١- كما في اللهجة العراقية وهي تصحيف عن (الشحاط) بالحاء المهملة، أي: عود الثقاب أو الكبريت المصطلح اليوم، ويقال لمشايبها قداحة أو ولاعة.

٢- راجع بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٧٦، ب ٧٨، ح ٥، وفيه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أعظم الناس قدراً من ترك ما لا يعنيه).

ويجتمع شمله، ويرجع إليه ما فقد من مال، فبقي يذكر الله ليل نهار، سرّاً وجهاراً، وجعل ينظر إلى الحياة نظرة العقلاء، يقدر النعمة، ويشكر العطية، ويخاف سوء العاقبة، وبذلك مسح اسمه من ديوان الأشقياء ودخل في ديوان السعداء، فأفاد خير الدنيا العاجلة، وحسن ثواب الآجلة.

إن النازحين يجب عليهم أن يذكروا الله سبحانه في كل صغيرة وكبيرة، وكل شدة ورخاء، وكل عافية وبلاء، فإن كثرة ذكر الله تحل المشاكل، تنفي الشدائد، وتطهر القلب، وتجلي الهم.

قال الله تعالى في القرآن الحكيم: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا)) (١)، وذكر الله يوجب اعتدال الإنسان واستقامته.

وقال لقمان لابنه: (لا تنس اثنين، ولا تذكر اثنين: لا تنس الله والموت، ولا تذكر احسانك إلى الناس وإساءة الناس إليك).

والإنسان الذي يذكر الله تعالى - دائماً -: قليل الهم كثير النشاط، مأمون الجانب، حسن العشرة، بادي الخير.

الطاعة

تفضل الله على عبد بنعمة، فتدرج في مدارج الطاعة والعبادة، حتى وصل إلى درجة الزاهدين، ثم إن الامتحان شمله، فابتعد عن الطاعة قليلاً قليلاً زاعماً أنه لا يحق له أن يطيع، وكيف يطيع من لا يتفضل عليه؟! وأخيراً آل أمره إلى أن ترك العبادة إطلاقاً، وأصبح من جملة الخارجين عن طاعة الله تعالى، يرتكب الآثام والمعاصي.

ثم شك في وجود الله تعالى، وألحد في دين الله، وحكم عليه بالإعدام لجريمة اقترفها، فلما وضع حبل المشنقة في عنقه كفر بالله، ومات الزاهد كافراً بالله تعالى، وصار من الملحدين الداخلين النار أبد الأبد، بعد أن كان في عداد الأخيار الزاهدين المستحقين لجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

إن النازحين يجب عليهم أن يواظبوا على طاعة الله، فلا يتركوا أمره لأجل ما نكبوا به في وطنهم، أو في مالهم، أو لأجل ما عانوه من الأتعاب والمصائب، فإن ذلك كله امتحان، ولا بد للإنسان من الامتحان.

قال الله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)) (٢).

وقال الشاعر الفارسي ما معناه: (ما أحسن أن يعرض الإنسان لمحك التجربة، حتى يسود وجه المغشوش)

(٣).

١- سورة آل عمران، الآية ١٩١.

٢- سورة الحج، الآية ١١.

٣- خوش بود گر محك تجربه آید به میان*** تا سیه روی شود هر که در او غش باشد.

روح الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)

عبد أسود، اصطيد من مجاهيل إفريقيا، كان لا يحسن حتى التكلم، ويستوحش من الناس استيحاش الوحش النافر، واتفق أن بيع من عالم رباني، وبعد مدة روي العبد وهو يتحلى بأسمى الآداب وأرفع الأخلاق، ويحمل العلم الكثير، والفضيلة الواسعة، فقالوا له: وكيف بلغت ما بلغت؟ قال: إن التراب إذا جاور الورد، اكتسب منه رائحة العطر. فكيف بإنسان يعايش عالماً يشع نوره، ويحمل بين جنبه أطيب من العطر وأفضل من رائحة الورد؟ والطبع يكتسب مما تمر به:

(نتناً من النتن، أو طيباً من الطيب).

إن النازحين، وخاصة النازحين منهم من الأعتاب المقدسة: النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، يجب أن يحملوا شيئاً من روحية الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، حتى يظهر الناس إنهم كانوا مجاورين لأفضل المثل العليا للبشرية علماً وفضلاً، وتقوى وأخلاقاً، وإصلاحاً وهدى.

يقول (سعدى) في أبيات فارسية ما معناها:

(تربة عطرة وصلت إلى يدي - في الحمام - من يد محبوب، فقلت لها: هل أنت مسك أو عبير؟ فإن رائحتك آنستني، قالت: كنت تربة تافهة، ولكن جالست الورد مدة من الزمن فأتّر في كماله، وإلا فانا لا زلت ذلك التراب)(١).

الاقتصاد

كان جاران، يملك أحدهما بقدر ما يملكه الآخر. لكن الأول كان مبدراً متلافاً، فلم تمض مدة إلا وانكسر، وحجز على محله، وأصبح من فقراء المسلمين، يتكفف الناس.

والآخر أخذ في التقدم والتصاعد، حتى صار من التجار الكبار.

فسأله صديقه المنكسر: كيف صرت تاجراً، وقد كنا - أنا وأنت - في مستوى واحد؟

قال: لأنني قنعت و (القناعة كنز لا يفنى)(٢)، واقتصدت في المعيشة وتركت فضول المعاش، فمن الله عليّ

١- هذه الأبيات باللغة الفارسية للشاعر الإيراني سعدى الشيرازي (١١٨٩-١٢٩١م):

گلی خوشبوی در حمام روزی *** رسید از دست محبوبی بدستم

به دو گفتم که مشکى يا عبرى *** که از بوى دل آویز تو مستم

بگفتا من گلى ناچيز بودم *** وليكن مدتى با گل نشستم

کمال همنشين در من اثر کرد *** وگرنه من همان خاکم که هستم.

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٥، ص ٢٢٦، ب ٩، ح ١٨٠٧٢ وفيه: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

(القناعة مال لا ينفد)، وقال: (القناعة كنز لا يفنى).

بما ترى.

فاعتبر الجار المنكسر، وأخذ يعمل بما سمع، فلم تمض مدة إلا وردّ عليه ما فقده، وتحسنت حالته حتى صار في مصاف جاره الثري.

إن النازحين معرّضون لخطر اقتصادي كبير، لأنهم يعيشون في بلد لم يألفوه من ذي قبل، وأوجب الواجبات عليهم: الاقتصاد في الحاجة، والتوسط - بل دون التوسط - في الإنفاق، فإن صبر الإنسان على ترك ما يحب، أفضل من صبره على تجرع ما يكره، وقلما ذهبت نعمة تمكّن الإنسان من ردها.

قال تعالى حكاية عن لقمان في وصيته لابنه: ((وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)) (١).

وقال سبحانه: ((كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)) (٢).

ويقول الشاعر الفارسي ما معناه: القناعة تثري الرجل، أخبر الحريص المطواف في العالم. (٣).

التعاون

حضرت الوفاة بعض الملوك، وكان له من الأولاد اثنا عشر، فأحضرهم وأمرهم بإحضار حزمة من القصب، فلما أحضروها حزم بعضها ببعض، وأعطاهم لأضعف الأولاد قوة وأمره بكسرها فلم يقدر، ثم أعطاهم للثاني، والثالث، إلى آخر الأولاد، ولكنهم عجزوا عن كسرها.

ثم قال لهم: يا أولادي، إني ضربت لكم المثل في التعاون، إنكم إذا كنتم مجتمعين متعاونين، لم يتمكن الناس بمجموعهم من كسرهم وإبادتهم.

ثم بعد ذلك فك الحزمة، وأخذ يعطي قصبه قصبه، لكلّ منهم فكسروها جميعاً، فقال الملك: إن هذا مثل لكم إذا تفرقتم، فإنه يتمكن أضعف الناس من كسرهم.

إن النازحين يجب عليهم التعاون فيما بينهم لحلّ مشاكلهم.

قال تعالى في القرآن الحكيم: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)) (٤).

وفي الحديث الشريف: (يد الله على الجماعة) (٥).

الأولاد

رأى حكيم ولداً جميلاً عليه آثار الهيبة والوقار، فسأله عن عمله.

فقال الولد: إني حمّال.

١- سورة لقمان، الآية ١٩.

٢- سورة الأعراف، الآية ٣١.

٣- قناعت توانگر کند مرد را***خبر كن حريص جهان گرد را.

٤- سورة المائدة، الآية ٢.

٥- نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧، الفقرة ٧.

فتعجب الحكيم، وقال: هل لك أب؟

قال الولد: نعم.

قال الحكيم: وما عمل أبيك؟

قال الولد: إنه عالم.

قال الحكيم: نعم الأب، وبنس الولد.

قال الولد: لا تقل هكذا، بل قل: نعم الجد وبنس الأب.

قال الحكيم: ولم؟!

قل الولد: لأن جدي ربّي أبي عالماً، وربّاني أبي حمّلاً.

قال الحكيم: صدقت وأحسن.

إن النازحين يجب عليهم أن يعتنوا بأولادهم أكبر اعتناء، فإن الولد في عصرنا هذا محاط بالأخطار، يحرق به خطر الانحراف في السلوك، خطر الزيغ في الحياة، والنازحون أقرب إلى هذه الأخطار، حيث إن شعور أولادهم بالغربة والضياع، يشكل لهم مشكلة نفسية، ومن يعيش مثل هذه المشكلة قد يُغرى بالانضمام إلى منظمات الحادية وما أشبهها.. أو إلى تخفيف عبء الحياة عن كاهله بالسلوك الشاذ، والعمل الزانغ. وقد جاء في الحديث عن جعفر بن محمد (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال: يا علي حق الولد على والده أن يُحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً.....(١).

فالأولاد يحتاجون إلى:

- ١- تغذية صحية، فإن سوء التغذية يؤثر في جسم الأولاد بالأمراض، وفي أنفسهم بالعقد.
- ٢- تربية كاملة.
- ٣- دراسة وثقافة.
- ٤- عمل لائق.
- ٥- تزويج إن حان وقته.

النساء والفتيات

شُرِدَتْ عائلة من وطنها إلى بلدٍ ناء، وكانت مؤلفة من: زوج وزوجة، وثلاث بنات. وكانت زوجة الرجل امرأة حكيمة، فبمجرد أن اشتدت بهم الدار في المهجر أخذت تنظم شؤونها: فخصصت جزءاً من وقتها للخياطة من أجل الاسترباح، وجزءاً آخر لتربية بناتها تربية فضيلة وجدّ وعمل، وجزءاً آخر من وقتها لإدارة البيت، حتى تمكنت من أن تربي بناتها الثلاثة تربية مثالية: فصارت إحداهن مديرة مدرسة أهلية. والثانية زوجة نائب من نواب البرلمان.

١- وسائل الشيعة، ج ٢١ باب ٢٢ ص ٣٨٩.

والثالثة زوجة أحد الضباط الكبار.

وهكذا أثرت التربية الصحيحة في رفع مستوى البنات إلى مقام رفيع.

إن النازحين يجب عليهم أن يعتنوا بنسائهم وفتياتهم عناية فائقة، فإن سوء تربية المرأة أو عدم الاعتناء بشأنها، يسبب أكبر الخطر على المجتمع، وقد قالت منظمة الحادية: (إن امرأة واحدة تنفعنا أكثر من مائة رجل).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)(١).

وفي الحديث: (الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله)(٢).

وفي كلمة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (فإن المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة)(٣).

يقول الشاعر

الأم مدرسة، إذا أعددتها***أعددت شعباً طيب الأعراق

النشاط

فقد أحد الرجال عمله فجأة، ولم يكن له رأسمال يتمكن أن يتاجر به، فاستنصح أحد أصدقائه.

فقال له الصديق: تنوع في العمل وانشط.

فعمل الرجل بنصح الصديق، فأخذ يبيع الخبز صباحاً، فإذا طلعت الشمس يخدم حماماً بنشر المآزر في الشمس، وبعد ذلك يبيع الجرائد، وعند الظهر يبيع العصير، وقبل المغرب إلى ساعتين من الليل، يعمل صباغاً للأحذية في المقاهي والشوارع، فاستغرقت أعماله أربع عشرة ساعة، فلم تمض إلا خمس سنوات وإذا به يصبح من كبار الأثرياء.

إن النازحين يحتاجون إلى نشاط دائب، وعمل لا يعرف الكلل، ومن الضروري أن لا يستسلم النازحون للمصاعب والتعب في سبيل العيش أولاً، وفي سبيل التقدم في الحياة ثانياً، بل يمشون مرفوعي الرأس، يعملون ويعملون، وينشطون وينشطون، حتى يفتحوا طريقهم في الحياة المزدهمة، لا هذا فحسب، بل يكونوا في الرعيل الأول من أهل البلاد.

أما الكسل، والضجر، والانسحاب من الميدان والتردد في الإقدام، فعواقبها الفشل المحتم، والتأخر الواضح.

الصدقة

كانت في مزرعة أحد الريفيين قطط كثيرة تزعجه، فاصطادها وجمعها في كيس، وذهب بها إلى البر ليلقيها فيه، لكن القطط ظلت تتنهاش وتتنازع، غافلة عما يراد بها بعد دقائق.

وشرّد أخوان كان بينهما نزاع عائلي إلى بلد آخر، فأخذ كل واحد منهما يشي إلى الدولة ضد أخيه، حتى

١- الفقيه، ج ٣، ص ٥٥٥، ب ٢، ح ٩٠٨.

٢- الكافي، ج ٥، ص ٨٨، ح ١.

٣- نهج البلاغة، الرسالة ٣١، الفقرة ١١٨.

ألقي القبض عليهما، وحُكم بالسجن على أحدهما ثلاث سنوات وأعدم الآخر شنقاً.
 إن بعض النازحين، لابد وأن يحملوا معهم بعض المنازعات من بلادهم، فإنهم يجب أن يفكروا في أن
 المنازعات عاقبتها الولايات بكل الأطراف.
 فاللزم عليهم أن يغسلوا ما في قلوبهم من أحقاد، وما في أدمغتهم من أفكار سوداء، ليعيشوا بسلام.
 أليسوا يحبون أنفسهم؟
 قال عيسى المسيح (عليه السلام): (أحبوا أعداءكم) (١). وقال الشُّراح: إنه (عليه السلام) أراد خير المحب
 قبل أن يريد خير المحبوب.
 وفي القرآن الحكيم: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) (٢).
 وقال سبحانه: ((وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)) (٣).
 يقول الشاعر:
 إذا أحببت نفسك فاتخذها***صديقة كل من عاداك جهرا
 فإن عاديتهم كنتم سواء***وأعدمك العدا مدحاً وأجرا

الاندماج

أراد أحد رجال المال في بعض البلاد ترشيح نفسه للمقعد النيابي، فاستشار محاميه عما يضمن له النجاح في
 الانتخاب؟
 فقال له المحامي: إن الطريق الوحيد للنجاح، هو الاندماج في المجتمع حتى يشعر المجتمع بأنك منه، وأنه
 منك، فإن ذلك كفيل بأن ينتخبوك حين الاقتراع.
 وإذا بالناس يرون الثري الذي لا يأبه بالناس ينزل إلى مستواهم، فيعود مرضاهم، ويحضر ولائمهم، ويشيع
 جنازهم، ويستقبل القادمين، ويحزن في أحزانهم، ويفرح لأفراحهم، حتى إذا جاء يوم الانتخاب، صوتوا باسمه،
 وصار نائباً عنهم.
 إن النازحين يجب عليهم أن يندمجوا في البلد الذي نزحوا إليه، حتى يكونوا جزءاً منه، ليشعر أهل البلد
 بأنهم منهم، يشعرون بالوحدة معهم، كأنهم بعض أعضاء جسم البلد، وبذلك تذهب عنهم وحشة الغربة، ويذهب
 عن أهل البلد الشعور بثقلهم.
 قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم) (٤).
 وقال الشاعر الفارسي ما ترجمته:
 (بنو آدم كأعضاء في جسم واحد، فهم في أصولهم من عضو واحد، فإذا ألم الدهر عضواً ذهب الاستقرار من

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٠، ب ١٨٦، ص ١٥٥.

٢- سورة الأنفال، الآية ٤٦.

٣- سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٤- الفقيه، ج، ص ٣٩٤، ب ٢، ح ٥٨٣٩.

سائر الأعضاء، فإن كنت في غفلة عن ألم الآخرين، لا ينبغي أن تسمى إنساناً^(١). وفي الحديث: (المسلمون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)^(٢). وإذا لم يحصل الاندماج الكامل استوحشت النفس، وبذلك تتولد العقد النفسية، وتؤدي إلى الأمراض النفسية والجسدية.

اللسان

ذهب لص إلى دار احد الحاكّة، ليسرق ما فيها، فإذا بالحاكّة يحوك قماشاً جميلاً، فانتظر اللص أن يتم حياكته ليسرقه فرأى الحانك يحوك ويقول:
(اللهم احفظ رأسي من شر لساني).
حتى صار الصبح، وأخذ الحانك القماش، وتبعه اللص، حتى وصل إلى دار الأمير، فقدم الحانك القماش إلى الأمير، فاستحسن الأمير القماش، وسأل الحاضرين عما إذا كان القماش يصلح لأي شيء.
قال كل واحد منهم شيئاً، لكن أحدهم قال: اسألوا نفس الحانك!
قال الحانك: إنه يصلح أن يلقي على تابوت الأمير.
فغضب الأمير من هذا الجواب، وأراد أن يضرب عنقه.
وهنا تدخل اللص وقال: دعوه فإن لسانه ليس بيده، ونقل لهم ما سمعه البارحة، فعفا عنه الأمير.
إن النازحين يجب عليهم أن يحفظوا ألسنتهم، عن سوى الخير وما يعينهم.
وفي المثل: (لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك).
يقول الشاعر:
لسانك لا تبدي به سوءة امرئ***فكلك سوءات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معائباً***من الناس قل يا عين للناس أعين
وفي الحديث:
(وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟)^(٣).

١- بني آدم أعضاءي يكديگرند***که در آفرینش ز يك گوهرند

چو عضوي به درد آورد روزگار***دگر عضوها را نماند قرار
تو کز محنت دیگران بی غمی***نشاید که نامت نهند آدمي

٢- راجع بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٥٠، ب ٣، ح ٢٩، وفيه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائرُه بالسهر والحمى).

٣- الكافي، ج ٢، ص ١١٥، ح ١٤.

الانزلاق

كان شاب جميل يخشى عليه أبوه من الانزلاق، ونصحه مرات ومرات محذراً إياه من أن يستهويه الفساد، ولكنّه كان واثقاً من نفسه، فيجيب أباه: إن عاقبتني إلى خير. وأخيراً وقع ما حذر منه الأب، فقد وقع الشاب في أحبولة فتاة، فصرف عليها ما عنده من المال، وأصابته عدوى مرض قبيح، وازداد الألم حتى أدخله المستشفى، لكن المرض كان أكثر من أن يطارده الدواء، فلزم الفراش. وذهب شبابه ضحية إفساده بعد ستة أشهر، وإذا بهم يجدون الشاب على خشبة المغتسل!!!

إن النازح الشاب يجب أن يقاوم الإغراء أكثر من غيره... وكثيراً ما يكون الشباب آفة وبلاءً، والجمال عناءً وانهياراً.

إن الانزلاق الجنسي، والحضور في المحاضر المحظورة، واستعمال المخدرات، وما إلى ذلك.. تهدم الحياة والسعادة.

فليحافظ النازح على ماله، وسمعته، وشبابه، وصحته.

يقول الشاعر:

إذا انزلت فأنت اللائم الآثم***فكم شباب من اللذات قد حرموا

ويقول الشاعر الفارسي ما ترجمته:

لو عرفت لذة ترك اللذة***لم تسم لذات الدهر لذة (١).

وفي الحديث: (ربّ أكلة تمنع أكلات) (٢).

التحنن

في الحديث: إن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان يتحنن على الصغير، ويتفقد الكبير، ويسعف العاجز، ويساعد الضعيف، وينفق على الفقير، حتى قال الله سبحانه له: ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (٣). حتى أنه ربما أتت إليه المرأة برضيعها ليؤذن في أذنه، أو يدعو له، فكان الرضيع يبول في حجر الرسول (صلى الله عليه وآله) فتزرمه أمه، فكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول (لا تزرموه وأما ثوبي فأغسله) (٤).

وربما نزع ثوب جلده وألبسه المحتاج وبقي بلا ثوب.

وشرب ذات مرة خادمه لبناً كان يتعشى به، لم يقل له: لم؟ وبات بلا عشاء.

يجب على النازحين أن يتحننوا على بعضهم، ففي الآية الكريمة: ((وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

١- اگر لذت ترك لذت بدانی***دگر لذت دهر لذت نخوانی

٢- مجموعة ورام، ج ٢، ص ٢٤٢.

٣- سورة القلم، الآية ٤.

٤- مثير الأحران، اللهوف (يراجع).

خصاصة))((١).

فاللزم أن يتحنن كبيرهم على صغيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وثريهم على فقيرهم، وقادرهم على عاجزهم، وصحيحهم على مريضهم.

وفي الحديث القدسي: (أنا عند المنكسرة قلوبهم، والمنكسرة قلوبهم) (٢).

إن التحنن يوجب ثواب الآخرة، وخير العاجلة.

فالأمة التي يتحنن بعضهم على بعض، أمة في أسمى مراقي الكمال.

وفي الحديث: (من كف يده عن الناس، فإنما يكف عنهم يداً واحدة، ويكفون عنه أيادي كثيرة). (٣)

يقول الشاعر:

إذا شئت أن تستقطب الناس فاتخذ***من النفس مراقبة لما كنت تهدف

قريب إليهم من يحنّ وإنما***بعيد عن الخلق من يتعجرف

الثقافة

تأخرت (اليابان) تأخراً هائلاً قبل قرن من الزمان، فانعقد المجلس الأعلى للدولة يسألون بعضهم بعضاً عن سبب التأخر؟ وقال كل واحد منهم جواباً، حتى وصل الدور إلى أحدهم - كان حكيماً مجرباً - فقال: لقد قرأت في كتاب المحدثين (يقصد القرآن) أن أسباب التقدم تتخلص في شيئين:

الإيمان والعلم؛ حيث يقول تعالى: ((يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)) (٤) وحيث إننا واجدون للإيمان فالذي نفقده هو العلم، فاللزم علينا أن نتخذ العلم وسيلة للتقدم، وبرهن الحكيم على ذلك، واستحسن الجميع رأيه، وقرروا نشر الثقافة والعلم، وعلى أثر ذلك ففرت (اليابان) ففرتها الصناعية في أقل من قرن.

إن النازحين يجب عليهم أن يتقنوا أنفسهم بالثقافات العلمية والعملية، حتى يصبحوا كباراً، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (قيمة كل امرئ ما يحسنه) (٥)، وفي شعر منسوب إليه (عليه السلام): (الناس موتى وأهل العلم أحياء) (٦).

١- سورة الحشر، الآية ٩.

٢- راجع منية المريد، ص ١٢٣، وفيه: (أنا عند المنكسرة قلوبهم) ودعوات الراوندي: ص ٢٧٦، وفيه: روي أن داود (عليه السلام) قال: إلهي هل يذكر أحد الأموات حين درست قبورهم؟ قال: يا داود إني لم أنسهم أحياء مرزوقين، فكيف أنساهم أمواتاً مرحومين! كلما قطعت لهم إرباً غفرت لهم ذنباً وأغفر لهم بكل شعرة سقطت وبكل عظم بلي وأنا أرحم الراحمين.

٣- الخصال، ص ١٧.

٤- سورة المجادلة، الآية ١١.

٥- بحار الأنوار، ج ١، ص ١٦٥، ب ١، ح ٤.

٦- الديوان المنسوب للإمام علي (عليه السلام): قافية الهمزة المضمومة:

ولا فرق في الثقافة بين الثقافة التجارية، أو الصناعية، أو الزراعية، أو الاجتماعية، أو العلوم التي تدرّس في المدارس وتنتهي إلى كون الإنسان طبيباً، أو مهندساً، أو جيولوجياً، أو غيرها.. وحتى النساء الكبار في البيوت يتمكنّ من تحصيل العلوم المنزلية كالخياطة، وحياسة السجاد، وما شابههما.

الأمانة

كان أحد التجار لا يراعي الأمانة حتى اشتهر بهذه الصفة عند الناس، وسحبوا منه ثقتهم، فانكسر التاجر ومات غصة، فتعلم ولده منه الأمانة، ففي المثل: (تعلم الأدب ممن لا أدب له)، وذات مرة جاءه قائد من قواد الجيش، وأعطاه مالا كثيراً، وقال: إني ذاهب إلى الحرب، فإن لم أرجع ادفع المال إلى ورثتي، ولم يرجع القائد، ولم يعرف ابن التاجر بمقتله، وافتقر أهل القائد، فشكوا حالهم إلى الخليفة عبد الملك، لكن عبد الملك أهمل الجواب، وبعد مدة عرف ابن التاجر بمصرع القائد، فذهب وسلم المال إلى أهله، وبينما عبد الملك يفتش في الأوراق القديمة عثر على كتاب أهل القائد، فطلبهم ليعطي لهم مالا، لكنهم أبوا قبول المال، معتذرين بأن الله وسّع عليهم بواسطة الأمانة التي تركها لهم القائد المقتول، وعرف عبد الملك بأمانة الولد فأعجب به، وطلبه، وجعله وزير المالية، وهكذا أفادته الأمانة فائدة جليّة.

إن النازحين لابد لهم أن يدخلوا في معاملات الناس، فمن الضروري عليهم استشعار الأمانة حتى يعرفوا بأنهم أمناء، وبذلك: يرفعون مستوى النازح في الأعين، ويرغب في التعاون معهم، ويتقدمون إلى الأمام بخطوات سريعة، والأمانة إنما تكون في العمل، وفي المال، وفي العرض، قال الله تعالى: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) (١)، وفي الحديث: (ما بعث الله نبياً قط إلا بصدق الحديث، وأداء الأمانة) (٢).

يقول الشاعر:

أقل النصح كي تكن في زيادة***مكناً أميناً إذا أردت السعادة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نُهي بنو اسرائيل عن الصيد يوم السبت (٣)، فاحتال جماعة منهم بأن حفروا في البحر سواقي إلى أحواض، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت من تلك السواقي إلى الأحواض، فكانوا يسدّون طريقها حتى لا تتمكن من الرجوع، فإذا صار يوم الأحد صادوها، وكانوا يقولون: نحن لم نصطد السمك يوم السبت، وإنما اصطدناه يوم الأحد، وهم يعلمون أنهم بذلك يحتالون على الله تعالى، فصاروا ثلاث فرق: فرقة تحتال وتصيد، وفرقة تنهي عن

فقم بعلم ولا تبقى له بدلاً***فالناس موتى وأهل العلم أحياء

١- سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

٢- مستدرك الوسائل، ج ١٤، ص ٧، ب ١، ح ١٥٩٤٢.

٣- راجع بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٥٦، ب ٤، ح ١٣.

هذه الحيلة، وفرقة تقول لا يفيد النهي قائلين: ((لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ)) (١)، فلمّا تمادى الصائدون في غيهم نزل عليهم العذاب فأخذ الصاندين والساكتين، ونجا الناهون. إن النازحين يجب عليهم أن لا ينسوا - في غمرة ما أصابهم من أذى وخسائر - واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر ما يستطيعون، قال الله تعالى: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٢)، خصوصاً وقد نشبت مخالب الكفار بالمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما كان صغيراً فإنه يؤدي مفعوله وينمو مع الأيام، فالذرات تشكل الصحاراي، والقطرات تشكل البحار.

الأمنية

منذ أُلوف السنوات واليهود أدلة منتشرون في الأمم، ويعتقدون أن المسيح سيأتي ويخلصهم من الذل، ولما سئل إنسان من (هرتزل) الذي دعا إلى تكوين دولة لهم، كيف اهتديت إلى هذا الشيء، وضربت باعتقاد وتقاليده أصحابك عرض الحائط؟ قال: إني فكرت أن بكاءنا حول (حائط المبكى) لا يسبب لنا إلا ذلًا، وكنت أطلع الكتب لطريق الخلاص، حتى وقعت على آية في قرآن المسلمين تقول: ((لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)) (٣) فرأيت إنا نعمل السوء بانتظارنا الفارغ للمسيح، وبعدم عملنا لأجل عزتنا، وليس ذلك إلا أمنية كاذبة، فرأيت أن أترجم (البكاء) و (الرجاء) إلى العمل، ولما وردت في هذا الميدان، رأيت الطريق مفتوحاً أمامي، فتقدمت.. وتقدمت..

يجب أن يعلم النازحون أن الآية التي استنار منها اليهود هي آية في قرآننا، نتلوها آباء الليل وأطراف النهار، وإنما نفقد التقدم لأننا لا نعمل بها، فاللزم: أن يترك النازح الأمنية الكاذبة والرجاء الفارغ بالمستقبل، بل يرد ميدان العمل الجاد المستمر، وبذلك يتمكن النازح من رد كيانه، وتقدّم إخوانه، ومساهماته في بناء الحياة، يقول القرآن الحكيم: ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) (٤).

الأخوة

كان أحد علماء النفس يقول: ليست الأخوة نابعة من القرابة، ولا الصداقة، ولا الشراكة، ولا الجوار، ولا اللغة، ولا الحدود الإقليمية، ولا اللون، ولا سائر المشتركات، وإنما هي نابعة من القلب، فإن شعرت بأنك أخو زيد، كنت أخاه، وإن كان بينكما ألف حاجز، وإلا كنت أجنبياً عنه وإن ولدكما أب وأم.. ولما آخى الرسول (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين والأنصار، جعل من الأبيض والأسود، والفارسي

١- سورة الأعراف، الآية ١٦٤.

٢- سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

٣- سورة النساء، الآية ١٢٣.

٤- سورة الزلزلة، الآيتان ٧ و ٨.

والعربي، وأهل البلاد المختلفة، إخوة، بينما قطع أخوة الأخوين الشقيقين الذين فصل بينهما الإسلام والكفر. إن النازحين إن استشعروا قلوبهم أخوة أهل البلاد - فانفتحوا عليهم، وتعاملوا معهم، وأخذوا منهم وأعطوهم - لا يلبث الطرفان أن يلتحما بالوشائج، فلا يحس النازح بالغربة، ولا يحس أهل البلد بأنه عنصر غريب يجب الاجتناب والتحدّر منه، وإلا بقي بينهما سد الغربة مما يؤذي الجانبين، ويفصل بين الطرفين، قال الله تعالى: ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)) (١)، وقال سبحانه: ((فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)) (٢). فالأخوة يجب أن تبتدئ بالقلب وتنتهي إلى الواقع العملي، لا أن تبتدئ باللسان ولا تتجاوز الأذان.

لجان

فرّت جماهير كثيرة من المسلمين، أمام غزو المغول إلى آسيا الوسطى، تاركين وراءهم الدور والأموال والبساتين والعلاقات، فاتفق أن أرشدهم بعض مفكريهم، إلى تنظيم حياتهم تنظيمًا يرقه لهم العيش، ويرغد لهم الحياة، فنظموا فيما بينهم جهازاً للقضاء، وجهازاً للإدارة، وجهازاً لإشغال العاطلين، وهكذا.. وبذلك: خففوا عن أنفسهم الثقل حتى وصلوا إلى الحكم، وصاروا ملوك البلاد الإسلامية، وظهرت فيهم خلافة آل عثمان. إن النازحين إن أرادوا السعادة، وتخفيف ثقل الحياة عن كاهلهم، لابد لهم من تنظيم شؤونهم بحيث تختص بكل مسؤولية جماعة منهم، ويكوّنوا لجاناً لمختلف قضاياهم (٣)، لجنة لجمع التبرعات والصناديق الخيرية، لجنة لتزويج العزاب، لجنة لإسكان المشردين، لجنة لتشغيل العاطلين، لجنة لتنظيم شؤونهم الدينية، لجنة لإدخال أولادهم في المدارس والمعاهد، وهكذا.. لأن الله سبحانه خلق الكون في كمال النظام والدقة وهم جزء منه، وفي القرآن الحكيم: ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) وفي آية أخرى: ((كُلُّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ)) (٤)، وفي وصية للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (ونظم أمركم) (٥). كما سبق تحت عنوان (التعاون).

الماضي

يقال في مبادئ الصرف: (الماضي ما مضى وقته ولزم أجله). وقد تعلم بعض العلماء من هذه القاعدة العلمية درساً حياتياً. فقد اتفق أن أخذ الزلزال في بعض أرياف إيران كل ما يملك ذلك العالم، من زوجة، وأولاد، ودار، ومسجد، وأصدقاء، وممتلكات، فلم يكن منه إلا أن مسح عن قلبه ذكراهم ليبني حياة جديدة في بلد آخر، وقال في نفسه:

١- سورة الأنبياء، الآية ٩٢، وسورة المؤمنون، الآية ٥٢.

٢- سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٣- للتفصيل راجع كتاب (الجمعيات) للمؤلف.

٤- سورة الحجر، الآية ١٩.

٥- نهج البلاغة، الرسالة ٤٧، الفقرة ٣.

(مات الميت فليحيا الحي).

وتلى قوله تعالى ((كَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)) (١).

ولم تمض مدة على حياته الجديدن إلا وصار صاحب زوجة وأولاد، ودار ومسجد، وأصدقاء وتلاميذ.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا***أنيس ولم يسمر بمكة سامر

إن النازحين يجب عليهم أن ينسوا الماضي، وكأنه كان نوماً قد استيقظوا منه، فيشتغلوا ببناء حياتهم من

جديد.

قال الشاعر الفارسي ما ترجمته:

(سألت حكيماً عن حال الدنيا، فقال: إنه نوم، أو ريح، أو أسطورة.

فقلت له: فلماذا نرى تعلق الناس بها؟

قال: إنهم سكارى، أو نائمون، أو مجانين) (٢).

إن الدنيا تذهب ولا تعود، ليس العاقل من يحزن وإنما من يعتبر.

إن النازحين يجب عليهم أن يأخذوا العبرة من الماضي، لا أن يجددوا هموم الماضي، فإن من يجدد هموم

الماضي، يضيع مستقبله كما ضاع ماضيه.

العلاج

ابتلي مريض بأمراض مختلفة متشابكة، فلم ينجع ما وصفه الأطباء له - على كثرة ما وصفوا له - حتى جاءه

طبيب وأخذ يفحصه، فقال: لابد ١- من معرفة المرض، ٢- من معرفة العلاج، ٣- من تطبيق العلاج.

ولذلك وضع البرنامج الكامل واستعان بأخريين في البنود الثلاثة، فلم تمض مدة إلا وقد أبرء المريض وشفى

تماماً.

إن النزوح ظاهرة لم تكن وليدة ساعتها بل اشتركت فيها عوامل كثيرة، حتى ظهرت بالشكل الذي ظهرت به،

ولذا فعلى النازحين - بصورة خاصة - القيام بالعلاج إن أحبوا الإسهام في خدمة بلاد الإسلام وخدمة المسلمين،

والعلاج نوجزه في خمس كلمات:

١- الإسهام في تثقيف النشء، فإن الثقافة هي المسيرة للمجتمع، وكلما كانت أمة أكثر ثقافة للحياة كانت

أكثر تقدماً، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (قيمة كل امرئ ما يحسنه) (٣). وقبله قال القرآن الحكيم:

((هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟)) (٤).

٢- الإسهام في تصنيع البلاد: فإن البلاد الصناعية تأخذ زمام السيادة على البلاد المختلفة. وقد قال الإمام

١- سورة الحديد، الآية ٢٣.

٢- حال دنيا را بپرسيدم من از فرزانه اي***گفت: يا بادست، يا خوابست يا افسانه اي

گفتمش: اينها كه ميدانند چرا دل بسته اند***گفت: يا مستند، يا خوابند، يا دوانه اند

٣- بحار الأنوار، ج ١، ص ١٦٥، ب ١، ح ٤.

٤- سورة الزمر، الآية ٩.

أمير المؤمنين (عليه السلام): (أمن على من شنت تكن أميره، واحتج إلى من شنت تكن أسيره، واستغن عن شنت تكن نظيره)(١).

٣- الإسهام في تأسيس المؤسسات، فإن المؤسسات بمنزلة المشعات التي يستضيء بها مختلف جوانب الحياة، سواء كانت مؤسسات ثقافية - كالمدارس والمكتبات - أو صحافية، أو اجتماعية، أو تربوية، أو صحية، أو غيرها.

٤- الإسهام في تقويم الذهنيات: فإن الذهنية الإسلامية غير الذهنية الشرقية والغربية، وقد انطبعت غالب الأذهان بألوان أجنبية، ولذا يجب البدء بالعمل لتقويم الأذهان بمقياس الإسلام.

٥- الإسهام في تنسيق العاملين والأعمال: فإن الإسلام يحمل رصيذاً كبيراً من الأفراد والطاقات والمؤسسات والأفكار، لكن عدم التنسيق بينها وبعثرتها، أوجب شللها.
في المثل: (كنا مائة فرادى، وكانوا اثنين جماعة).

١- بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٧، ب ٩٩، ح ٩.

نهاية المطاف

يجب على الذين حل بين أظهرهم النازحون: أن يذكروا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أكرموا الضيف)(١).

وقول أمير المؤمنين لابنه (عليه السلام): (يا حسن وكفى بك وصياً... وإكرام الضيف)(٢).

والحديث المشهور: (أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك)(٣).

فإن النازحين أخوة لهم في الدين، وضيف لهم في البلد، وكل الأمرين يوجبان لهم على أهل البلاد حقاً وحرمة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ويجب على أهل العلم - سواء من النازحين أو من أهل البلاد - بصورة خاصة: أن يهتموا بقضايا النازحين أكثر فأكثر، فإنهم الذين يفوزون بثقة الجماهير، ويحملون علوم محمد وآل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين)، ويقدرّون الأمور حق تقديرها، ومنهم يؤخذ، وإليهم يرجع، وقيامهم بهذه الخدمة توجب لهم الثواب الجزيل، والذكر الجميل.

قال تعالى - نقلاً من دعاء إبراهيم الخليل (عليه السلام) - ((وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)) (٤)

ويجب على أهل العتبات المقدسة من النازحين - بصورة خاصة - أن يحسنوا معاملة الناس، ويضعوا أنفسهم موضع الأسوة، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض مواليه: (إن الحسن من كل أحدٍ حسنٌ وإنه منك أحسن لمكانك منا، وإن القبيح من كل أحد قبيح ومنك أقبح)(٥).

والمسؤول من الله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لاتباع مرضيه، ويجعل مستقبل أمرنا خيراً من ماضيه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الكويت

محمد

١- جامع الأخبار وفيه: (أكرم الضيف ولو كان كافراً)، ص ٨٤.

٢- بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٢٠٢، ب ١٢٧، ح ٧.

٣- الكافي، ج ٣، ص ١٧٠، ح ٥.

٤- سورة الشعراء، الآية ٨٤؟.

٥- بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣٤٩، ب ١١، ح ٥٠.